



## رواية أحمد الصراف الإنسانية حيكّت خيوطها من أحداث تحاكي وقائع تاريخية مع إسقاطات على الزمن الحالي

# «عبد اللطيف الأرمني والتفاحات الثلاث»

## رحلة تهجير ولجوء وحب ضائع.. وحنين

شافعي سلامة

«نهي الضابط كلامه ولم ينتظر الاستماع لتساؤلات البعض وتوسلاتهم، وامضى ظهر جواده وما ان استوى عليه حتى تذكر شيئاً فزأر بصوت مرعب قائلاً: عليكم ترك كل دوابكم وماشيئكم، والمفارقة منيماً. فهذه املاك السلطنة، وانتم لستم منها.. وما هي الاثوان حتى ارتفعت الهمهمات لتتحوّل إلى حنين ثم صوت بكاء يقطع القلب. وعاد الجميع إلى بيوتهم مطاطني الرؤوس، كل يفكر في المصير الأسود الذي ينتظره..»

بهذه الكلمات التي تظفر إحساساً بالظلم والقهر وتستدعي من ذاكرة القارئ العربي أحداث قضية العرب «المركية»، القضية الفلسطينية، وتحاكي مآسي يندى لها الجبين ويشيب لها الولدان لا تزال وقائع بعض فصولها تخير غبار الغين والضياح في محيط منقطعتنا والعالم، بهذه الكلمات عبر والد بطل رواية «عبد اللطيف الأرمني والتفاحات الثلاث» للكاتب أحمد الصراف عن رؤيته لما قال إنه حدث مع كثير من الأرمن وما تعرضوا له على يد السلطة العثمانية من مذابح مرعبة ومصادرة الأملاك من دون تفريق وتشريد وتصفية عرقية. لكن هذه الفكرة وإن كانت خطأ رئيسياً في الرواية لم تكن أبداً الوحيدة التي امتدت بشكل أساسي على طول مسار القصة. فقد جاءت الرواية بإجرائها الأربعة ثرية بمجموعة من المقاربات القيمة والاجتماعية والسياسية قامت على خطوط فلسفية متشابكة ومتقاطعة. وفيما امتد مسرح أحداث الرواية بين حلب السورية والعراق والكويت، كان للمجتمع الكويتي والأحوال بالكويت في خمسينيات القرن الماضي وما تلاها نصيب وافر من التناول من خلال وجود البطل في الديرة بعدما جاءها من بغداد بحثاً عن سعة في الرزق وتيسير في الحال والمال. وتجسدت المعاناة كذلك بشكل ممتد جيلاً بعد جيل بدءاً من والد البطل سيرج بازليان مروراً بالبطل كالوست الذي أكمل مسيرة الهجرة والشنات وصولاً في النهاية إلى ابن حفيدة عمته التي خطفها قطاع الطرق بينما لا تزال طفلة في مقتبل عمرها. كما تجسدت في القصة أيضاً مآسي التهجير واللجوء والحب الضائع للوطن المفقود والحبوبة التي غيبتها قسراً أحداث القهر وكذا الزوجة المفقودة بفعل صعوبة الأحوال ونقص الأموال وضيق ذات اليد.



غيرها حتى ذلك الحين، ولكنه عاش فيها أيضاً غريباً يزرع أبوه في نفسه حنيناً إلى وطن في عنتاب (التي أطلق عليها الأتراك لاحقاً غازي عنتاب) لم يره إلا في ذكريات والده. رحل كالوست من هذه القرية التي أبت إلا أن تلازمه ليحملها معه لغربة أكبر في العراق، حيث بقي لسنوات قليلة قبل أن ينتقل إلى مجتمع الكويت الذي رآه أكثر غراباً، حيث الناس يأكلون «الجراد المطبوخ في صفايح تنك موضوعة على مواقد نار تحتوي على ماء مغلي» وراعه الإقبال الكبير على هذه الوجبة، ليكون بعد ذلك «أول أرمني يأكلها في التاريخ ويستلذ بطعمها». وأعاد الصراف إلى واجهة الأدب ما أثير مراراً عن القضية الأرمنية، وهو ما تجلّى بأقسى صورته فيما رواه والد البطل في الجزء الأول من الرواية عند حديثه، عبر مذكرات يقرأها البطل كالوست، عن إجباره والكثيرين من الأرمن على ترك قريتهم في عنتاب بتركيا، ليخرج في رحلة

ماساوية إلى حلب عبر تل أبيب، لتكون النتيجة أنه فقد أبويه وأخته الصغيرة «أنيت» إلى الأبد، وضاع منه حبه بعدما فقد أثر زوجته المستقبلية «هرمين».

كما توضح مذكرات سيرج بازليان التي أعطاها لابنه كالوست عندما قرر الرحيل عن حلب لتكون نبراساً يهديه إلى التمسك بوطنه الأم وقوميته وربما يعيده إلى دينه الذي غيرته حتى يتزوج من فتاة مسلمة، توضح كيف عاش الأب في تل أبيب حيث عمل في تجليد الكتب قبل أن يتعرف على أرمني آخر يدعى فاهيه ويقرران الانتقال إلى حلب والتشارك في مشروع جديد، حيث يتعرف على قصة فاهيه التي توضح الكم الكبير من الفساد في يريفان عاصمة أرمينيا، كاشفة عن شيوع الفساد الضارب بجذوره في كل مكان. في واقعة توحى بالاعتزاز بالعرق وسيطرة الأفكار القومية على الذات وإشغالها عن كل ما سواها حتى لو كان فلذات الأكلاب، كما تكشفها أوراق الأب التي كتبت بأقلامه واللوان حبر مختلفة وعلى مراحل زمنية متباعدة، يواجه الصدمة الكبرى في حياته عندما أعلمه ابنه كالوست برغبته في الزواج من فتاة مسلمة، لكن المنير أنه يبدو أن حزنه وشغوره بالعار لم يكن بسبب تغيير العقيدة بقدر ما كان نتيجة قلقه على صورته أمام أقرانه! تتوالى الأحداث بعد ذلك عبر مسار حركة البطل من حلب إلى بغداد قبل أن يقرر الانتقال إلى الكويت. يتناول الجزء الثاني من الرواية صداقة 4 شباب كويتيين في مرحلة المراهقة دونما التفات إلى أي فروق مادية أو اجتماعية أو مذهبية. يحكي هؤلاء الشبان المقبولون على الحياة حكايات عن مغامراتهم الغرامية في مدينة عبادان الإيرانية، ويلتقون كالوست بعد وصوله إلى الكويت والذي أصبح يدعى عبد اللطيف الأرمني.

بعد ذلك تعود القضية الأرمنية إلى الواجهة مرة أخرى، حيث يتحدث عبد اللطيف الأرمني إلى الشباب الأربعة ويحكي لهم عن تحوله مضطراً إلى الإسلام، ويقرر أن يتبنى قضية شعبه، تماماً كما فعل مدرسه الفلسطيني الذي حمل هموم قضيته إلى كل موضع لتبقى حبة وتكون في قلب مستمعيه. في الجزء الثالث من الرواية بعدما فرقت الحياة الشباب الأربعة وبعادت بينهم وبين البطل تظهر شخصية رجا سائق سيارة الأجرة في المطار والذي يلتقي عبد اللطيف الأرمني بالمصادفة لتكون بينهما صداقة ثم تتوالى الأحداث ويطور رجا من نفسه قبل أن يبحث عن زوجة في العراق، تكشف الوقائع بعد ذلك من هي ومن أهلها. في الجزء الرابع ومع اقتراب الرواية من نهايتها يقع ابن رجا في مازق يكون ناصر، وهو أحد الشباب الأربعة، السبب في كشفه، قبل أن تتكشف مجموعة من الأمور المخيرة وتنتهي الرواية بحادث مأساوي.

### مقتطفات من الرواية

● «نقول في الفلكور الأرمني قبل أن نروي أي حكاية: سقطت يوماً من السماء ثلاث تفاحات: الأولى لمن يروي الحكاية، الثانية لمن ينصت لها والثالثة لمن يفهم مغزاه»

● «عندما تفكك كل لحظات حياتنا لأجزاء أصغر نصاب بالصدمه من كل ما أضعناه من وقت في التافه من الأمور، وفي تكرار الأخطاء نفسها».

### رحلة من التشويق والإثارة رغم المآسي والملامات

جاء مضمون الرواية ثريا تقاطعت فيه الخطوط الإنسانية مع تباين انتماءاتها وتوجهاتها لتشكّل نسيجاً تربطه المآسي والملامات أحياناً وتقارب الأمزجة والتوجهات أحياناً أخرى. كما اتسمت الأحداث بالتشويق لتقربها صبغتها التاريخية أكثر وأكثر من الواقعية وتجذب القارئ وتزيد من شغفه للمتابعة لمعرفة مصير الأبطال بل مشاركتهم معاناتهم والتعاطف معهم أيضاً. أما أسلوب السرد فجاء سلساً ومتربطاً دونما مط أو تطويل يسبب الملل أو إيجاز مخل يوجد فجوات في مسار الأحداث.

كما جاء مسرح الأحداث ممتداً في توزيع جغرافي غني ومتسع زاد من عناصر المتعة والتشويق مع رحلة يخوضها القارئ في ذهنه من تركيا إلى سورية إلى العراق وصولاً إلى الكويت، دليله فيها وصف رائع لجغرافيا وديموغرافيا مواقع الأحداث. دعم ذلك رسم دقيق للشخصيات لتنبئ كل شخصية عما تمثله من جنسية أو عرق أو شريحة اجتماعية هنا أو هناك ولتكشف جميعها عن المعاني الإنسانية التي تتخطى الحدود وتسمو فوق الاختلافات الدينية والعرقية والمذهبية.

مُشَرِّحُ الْعَزَاءِ

# الانباء

تتقدم بصادق العزاء والمواساة إلى

## عائلة العسلاوي الكرام

لوفاة فقيدهم المغفور له بإذن الله تعالى

## سعود عبدالعزيز معتوق العسلاوي

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته

وألهم آله وذويه الصبر والسلوان

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

مُشَرِّحُ الْعَزَاءِ

# الانباء

تتقدم بصادق العزاء والمواساة إلى

## عائلة المرطة الكرام

لوفاة فقيدهم المغفور له بإذن الله تعالى

## صلاح زايد سالم زايد المرطة

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته

وألهم آله وذويه الصبر والسلوان

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ